مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد التاسع - التاريخ - تموز 2025 م
doi.org/10.52866/esj.2025.09.25.24

موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من النفاق
دراسة قرآنية تاريخية

م. د: مصطفى محسن كاظم
المديرية العامة لتربية بغداد/ الرصافة الثالثة
البريد الالكتروني miraqm733@gmail.com

مستخلص:

تبين من خلال دراستنا ان جميع العلوم ترتبط بعلم التاريخ ومنها ظاهرة النفاق قبل وبعد الإسلام، كما ويعد النفاق من أدق الأمور التي تحتاج إلى عناية خاصة في الكتابة عنها وما ذاك إلا لعدم وضوحه وشدة خفائه، ولهذا السبب وما جرى للرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، منهم في حياته وتعدد الآراء حيالها وتنوعها واختلافها؛ جاء بحثنا في هذا الموضوع الذي تحريت فيه تصوير مواقفه (صلى الله عليه واله وسلم)، في كل حادثة معهم. حتى تتجلى للقارئ الصورة الحقيقية التي رسمها (صلى الله عليه واله وسلم) للتعامل معهم؛ واختياره أيسر السبل التي لم تؤثر في مسيرته ولم تستنزف طاقته معهم حيث كان همه مراعاة الظروف وتقديرها؛ لا سيما أن دولة الإسلام كانت في بداية عهدها وليس من الحكمة كسب عداوة جديدة تحد من مسيرتها أو تؤخرها، ولا شك أن هذا من المنهجية التي رسمها المصطفى (صلى الله عليه واله وسلم) للمسلمين في مسيرة حياته.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، الاسلام، النفاق، الجذور التاريخية، اليهود.

The Prophet Muhammad's (peace be upon him and his family) Stance on Hypocrisy: A Qur'anic and Historical Study

Dr. Mustafa Mohsen Kazem
Affiliation: Directorate General of Education, Baghdad / Al-Rusafa Third
Email: miraqm733@gmail.com

Abstract :

Our study reveals that all sciences are interconnected with the science of history, including the phenomenon of hypocrisy before and after the advent of Islam. Hypocrisy is considered one of the most delicate subjects that requires special attention in writing due to its ambiguity and hidden nature. For this reason, and because of the incidents the Prophet (peace be upon him and his family) experienced during his life with hypocrites – as well as the diverse opinions surrounding these incidents – our research delves into this topic to portray the Prophet's (peace be upon him and his family) position in each event involving them.

The goal is to offer readers a clear image of the approach the Prophet (peace be upon him and his family) adopted when dealing with hypocrites. His choices reflected the easiest and least confrontational paths that did not hinder his mission nor drain his energy. His concern was to respect and assess the prevailing circumstances, especially considering that the Islamic state was still in its early stages. It would not have been wise to attract new enmities that could obstruct or delay its progress. Without a doubt, this approach embodies the methodology that the Prophet (peace be upon him and his family) established for Muslims throughout his life journey.

Keywords: *Qur'an, Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) ,Islam, Hypocrisy , Historical roots, Jews.*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الأنام سيد الخلق من الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين.

أما بعد أن الحديث عن المنافقين من أهم القضايا التي تحتاج إلى وضوح وجلاء لأمرها وما ذاك إلا لعظم هذا الأمر على المسلمين وخطره على حياتهم في ماضيهم ومستقبلهم.

النفاق من أدق الأمور التي تحتاج إلى عناية خاصة في الكتابة عنها وما ذاك إلا لعدم وضوحه وشدة خفائه، ولهذا السبب وما جرى للرسول ﷺ، منهم في حياته وتعدد الآراء حيالها وتنوعها واختلافها؛ جاء بحثنا في هذا الموضوع الذي تحريت فيه تصوير مواقفه ﷺ، في كل حادثة معهم. حتى تتجلى للقارئ الصورة الحقيقية التي رسمها ﷺ للتعامل معهم؛ واختياره أيسر السبل التي لم تؤثر في مسيرته ولم تستنزف طاقته معهم حيث كان همه مراعاة الظروف وتقديرها؛ لا سيما أن دولة الإسلام كانت في بداية عهدها وليس من الحكمة كسب عداوة جديدة تحد من مسيرتها أو تؤخرها، ولا شك أن هذا من المنهجية التي رسمها المصطفى ﷺ للمسلمين في مسيرة حياته.

وهذا ما سنبين دراسته وتحليله في هذا البحث، حتى يكون للمسلم على بينة من أمره فيما يقول ويفعل فلا هدى أكمل من هديه ﷺ، ولا نهج أفضل من نهجه؛ فقد بدت الواقعية واضحة وجلية في تعامله معهم، وكان هذا المنهج منذ بداية تأسيس الدولة الجديدة في المدينة، في ظل كثرة أعدائها في الداخل من المنافقين المستترين بالإسلام الذين لم يعرفوا حقيقة الدين فكانوا يستجيبون لكل قريب منهم بحمية القبلية، أو المصلحة الشخصية، والقوى الخارجية التي تتربص بالمسلمين الدوائر، فليس من المصلحة فتح جبهة داخلية تستنزف طاقة المسلمين فيما يمكن تلافيه، وتضعف قوتهم فينال منهم العدو الخارجي.

ومع كل ما سبق فإننا سنرى أن القرآن الكريم قد اتخذ من المنافقين موقفا واضحا جليا تمثل في كشف حالهم وتناقضهم، وبيان حقيقة أمرهم، وفساد نواياهم، وأن نهايتهم ستكون حسرة وألما يعتصرهم وهو ما يجب أن يحذره غيرهم حتى لا يقعوا في شرك ما انغمس به أولئك المنافقين فيدخلوا تحت الوعيد القرآني إذ جعله والكفر في منزلة واحدة.

مشكلة البحث:

1. طرح تساؤلات عديدة كالجذور التاريخية لظاهرة النفاق، وهل عالج الاسلام هذا السلوك.

2. ما هي المشاكل التي واجهت الرسول الكريم ﷺ، وكيف عالج تلك المشاكل.

أهمية البحث:

1- إيضاح النفاق ومعالجة هذا السلوك في الاسلام، تناول احداث تاريخية وادوار مهمة في حفظ ما أراده الله تعالى، وما مدى تأثيرهم بالمجتمع.

2- كيف حافظ النبي محمد ﷺ، على المجتمع من هذه الظاهرة ومن كل التأثيرات الخارجية.

3- كيفية إيصال الموضوعات الحيوية ومنها الاجتماعية ومعالجتها بين حليتها أو حرمتها، والتدرج من التطبيقات الى النظريات ومدى تأثيرها في الجوانب الزمكانية.

أسباب الاختيار:

1. أهمية الحفاظ على حلقات التواصل الاجتماعي مع جميع طبقات الناس، وإيصالها الى

المكلف بأبسط فهم؛ لأن الأسئلة والأجوبة هي نابضة بالحياة.

2. الخوض في معرفة المجالات التاريخية لظاهرة النفاق، وبيان بعض التساؤلات التي نحتاجها في حياتنا العملية.

أهداف البحث:

1. تسليط الضوء على بعض المشاكل المهمة التي تصيب بعض الناس.

2. إيضاح بعض الجوانب التاريخية والاطّلاع على بعض الاحداث المهمة.

3. إبراز الدراسات تاريخيا له أهمية في كشف الحقائق وبعض الإشكاليات التي أصابها الغموض.

التمهيد

1- النفاق لغة:

قال ابن منظور «والنفقة والنافقاء: جحر الضب واليربوع، وقيل: النفقة والنافقاء: موضع يرققه اليربوع من جحره، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النافقاء برأسه فخرج»[1].

ونقل ابن منظور عن أبي عبيدة «سمي المنافق منافقا للنفق وهو السرب في الأرض، وقيل: إنما سمي منافقاً لأنه نافق كاليربوع وهو دخوله نافقاءه. يقال: قد نفق به ونافق، وله جحر آخر يقال له القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، أو يدخل القاصعاء ويخرج من النافقاء»[2].

2- النفاق اصطلاحا:

«سئل حذيفة ابن اليمان عن النفاق فقال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به»[3]، قال ابن جريح: «المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه»[4].

وقال ابن كثير النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر»[5]، وقال أيضا: «أنهم يتفوهون بالإسلام إذا جاء النبي ﷺ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك»[6].

كما ذكر صاحب التفسير في كتابه (جامع البيان في تأويل القرآن) أن المنافقين «هم أقوام يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر؛ ليبقى جاههم وتحقن دماؤهم، وتسلم أموالهم»[7].

وتنوع فئات المجتمع المدني وبسبب الظروف التي عاشها سكان المدينة وبعد دخولهم في الإسلام، وانتقال المهاجرين إليها من الأوس والخزرج، ومع انتقال المهاجرون إلى المدينة من مكة، أو من غيرها من قبائل العرب المختلفة الذين توافدوا على المدينة لا سيما بعد إعلان إسلامهم تاركين أهلهم

(1) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على (630هـ/ 1311م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د-ت)، ج6، ص4508.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج 6، ص 4508.

(3) القرطبي، أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد (671هـ/ 1272م)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1373هـ/ 1954م)، ج8، ص 122.

(4) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ/ 1372م)، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د-ت)، ج1، ص399.

(5) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ/ 1372م)، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د-ت)، ج1، ص399.

(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص48.

(7) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/ 922م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة، مؤسسة الرسالة، 2000م)، ج1، ص 241.

وأموالهم[1].

ولا ننسى دور اليهود وهم من ساكني المدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها، وهم قبائل بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وغيرهم.

وقد نظم النبي ﷺ، العلاقة معهم حين قدم المدينة فأودعهم وكتب بينه وبينهم كتاب واشترط عليهم أن لا يمالئوا عدوه وأن ينصروه وألا يقاتل أهل الذمة[2]، لكن عداوتهم وحقدهم على المسلمين أدى بهم إلى نقض عهودهم ومظاهرتهم لأعداء المسلمين في داخل المدينة من المنافقين، ومن خارجها كقريش وغيرها[3].

بدايات نشأة النفاق

لم تكن بيئة الدعوة في مكة تناسب نشأة النفاق، فقد كان الوضع العام فيها يدعو إلى إخفاء الإسلام وإظهار غيره حيث كانت سطوة كفار مكة على المسلمين في أوجها، حيث التشديد عليهم والنيل منهم[4]. ولهذا فإن إعلان الكفر بينهم لن يجلب لصاحبه إلا السلامة والعافية.

وعندما هاجر النبي ﷺ، إلى المدينة ظل بعض أهلها على شركهم وجاهليتهم في بادئ الأمر كعبد الله بن أبي بن سلول[5]، ومن تبعه من المشركين وتضامن مع اليهود وجماعة من الأوس والخزرج[6]، وكانوا يجاهرون بالعداء والميل لهم لمعاداتهم للنبي ﷺ، روى البخاري عن عروة بن الزبير قال: «أخبرني أسامة بن زيد، أن النبي ﷺ، ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فدكيه وأردف وراءه أسامة بن زيد، وهو يعود سعد بن عبادة في بني حارث بن الخزرج، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين من عبدة الأوثان واليهود، وفيهم عبد الله بن أبي بن سلول، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة، خمر عبد الله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم عليهم النبي

(1) الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، (207هـ/ 822م)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، (بيروت، دار الأعلمي، 1989م)، ج2، ص 459.

(2) لقد أكد الرسول المصطفى ﷺ، حفظ حقوق أهل الذمة بالعدل والانصاف؛ كما أظهر تسامحه وأمنهم على أرواحهم وممتلكاتهم من خلال عهود الصلح التي أبرمت معهم في عام الوفود (10هـ/ 631م): للمزيد ينظر: السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (581هـ/ 1185م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تعليق: مجدي منصور بن سيد رشدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1991م) ج3، ص5-3؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص23.

(3) الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (327هـ/ 938م)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، (السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419م)، ج10، ص 3155.

(4) الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (427هـ/ 1035م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، 2002م)، ج10، ص74.

(5) عبد الله بن أبي بن سلول: شخصية مهمة من شخصيات المدينة وأحد قادة الخزرج، كان معادي للإسلام وللنبي محمد ﷺ، كما ويلقبه المسلمين برأس المنافقين، برز في عالم النفاق والحقد والضغينة ضد الإسلام: للمزيد ينظر: البلاذري، أحمد بن يحيى بن داود (279هـ/ 892م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، 1996م)، ج1، ص 274.

(6) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (310هـ/ 922م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، (مصر، دار المعارف، 1967م)، ج2، ص607.

ﷺ ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: أيها المرء لا أحسن من هذا إن كان ما تقول حقا فلا تؤذنا في مجلسنا وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، قال ابن رواحة: اغشنا في مجالسنا فإنا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون و اليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم»[1].

فحكي النبي ﷺ لسعد بن عبادة ما ناله من إيذاء ابن سلول له، فما كان من سعد بن عبادة إلا أن قال: «اعف عنه واصفح يا رسول الله، فو الله لقد أعطاك الله الذي أعطاك، ولقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجهوه، فيعصبونه بالعصابة، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاك شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه النبي ﷺ»[2].

إذا هو الحقد والخوف من ضياع الزعامة والسيادة، يقول ابن إسحاق: «فأما عبد الله بن أبي سلول فكان قومه قد نظموا له من الخرز ليتوجوه ثم يملكون عليهم»[3].

سلوك وظاهرة النفاق

النفاق سلوك يمارسه بعض الناس في حياتهم ويمثل حالة في النفس الإنسانية تسببها متطلبات الحياة وشهواتها والانغماس فيها، ويصعب القول إن النفاق مرحلة مرت من تاريخ الأمة، أن الاسلام يدعوا أصحاب هذا السلوك إلى اتخاذ منهج واضح في التعامل مع هؤلاء بما يخفف من آثارهم على الإسلام ومجتمعات المسلمين[4]، ويجلبهم إلى حظيرة الدين والقناعة به والخلوص من شبه الأعداء المتربصين، ويخفف على دعاة المسلمين ما يبذلونه من جهود تجاههم، لتبذل فيما لا يرجع بسوء عليهم، ويؤثر في مناحي الحياة الأخرى[5].

أن ظاهرة النفاق تكون ذو سلوك وظروف تشتد حينا وتقل حينا ولعلها في الأزمان المتأخرة أشد على المسلمين خطرها وذلك لكثرة الشبه، وتنوعها، ومما يزيد الخطر على المسلمين في آثارها على عقائدهم ومجتمعاتهم[6].

وقد نزل القرآن الكريم بالحديث عن أعمالهم في مواقف متعددة مما يحدد أولئك المنافقين ومواقفهم للنبي ﷺ منهم، كما أحداث في مسجد الضرار[7]،

(1) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (256هـ/ 869م)، صحيح البخاري: تحقيق محمد علي قطب، صحيح البخاري (بيروت المكتبة العصرية 1417هـ)، باب: التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين، رقم الحديث 6254.

(2) المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (845هـ/ 1441م)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1999م)، ج2، ص229.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ص494.

(4) الشافعي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (468هـ/ 1075م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (بيروت، دار القلم، 1994م)، ص323.

(5) الزحيلي، وهبي بن مصطفى، التفسير الوسيط، (دمشق، دار الفكر، 2000م)، ج1، ص14.

(6) الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط10، (بيروت، دار الجيل الجديد، 1993م)، ج2، ص 32.

(7) مسجد الضرار: هو مسجد بناه مجموعة من المنافقين في المدينة المنورة، في زمن النبي ﷺ، وكان الهدف من ذلك هو الضرار بالمسلمين والوقيعة بينهم، فأمر النبي ﷺ، بهدمه بعد أن نكشف أمرهم وفضح نياتهم: المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د، ت)، ج1، ص 237؛ ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1222م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر

والذي أرسل النبي ﷺ، مالك بن الدخشم، فحرقه وهدمه، وأنزل الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

كما أنه يصعب تحديد وتسمية أحد من الناس أنه من المنافقين، والتعامل معه على ضوء ذلك بل يؤخذ الناس بظواهرهم وتترك سرائرهم لخالقهم، ولهذا الأمر ايجابية كبيرة في إتاحة الفرصة لهم بالتوبة والإنابة والبعد عن المضادة لهم وما تسببه من إضرار على سلوك الآخرين بسببها[2].

النفاق والظواهر الاجتماعية وموقف النبي ﷺ.

إن الناظر في سيرة المصطفى ﷺ، يدرك أنه قد سن منهج في التعامل مع المنافقين الذين كانوا بين ظهراني المسلمين في المدينة على وجه العموم[3]. فقد كانوا مع المسلمين في كافة أحوالهم الحياتية في التعامل الاجتماع، وأخذ الحقوق، والالتزام بالواجبات، وشهود الصلاة معهم، ويصلى على جنائزهم وتدفن في مقابر المسلمين قال الله تعالى: ﴿وإن مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾[4].

فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم، كما أنه صل الله عليه واله وسلم، عانى من تكتل المنافقين في المدينة وكثرتهم، وازدياد إيذائهم للمسلمين، وسعيهم إلى تفكيك المجتمع وتخذيل أتباعهم[5].

ومنع رسول الله ﷺ، من قتل المنافقين ما كانوا يظهرونه من الإسلام مع العلم بنفاقهم[6]، ومع ذلك لم يعدهم ﷺ، قوة عدائية تستحق المواجهة الحربية[7].

وبالمقابل فإن آيات القرآن الكريم والتي تتنزل لتفضح أمرهم، وتكشف خيانتهم، وتحذرهم من الاستمرار في طريق العداوة للمسلمين، كثيرا ما تتضمن إتاحة الفرصة لهم، وتدفعهم للعودة إلى المنهج الإسلامي الصحيح[8].

والمتأمل لسيرة المصطفى ﷺ، مع كبير المنافقين عبد الله ابن أبي بن سلول يرى أنها خالية من الغل والحقد والانتقام للنفس[9]، فراعى النبي ﷺ، أحوال قومه بعدم رسوخ بعضهم في الإسلام في البداية، فقد عرض أبن عبد الله بن سلول على النبي ﷺ بقتل والده إن كان في نية النبي ﷺ ذلك؟ فكان رده ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا»[10].

ولا شك أن هذه الكلمات ستجد صداها عند الأبن حينما يرى كيف كان موقفه النبي صل الله

عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م)، ج 2، ص 149.

(1) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 109.

(2) ابن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، (734هـ/ 1333م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: ابراهيم محمد رمضان، (بيروت، دار القلم، 1993م)، ج1، ص 242.

(3) الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، ط7، (لبنان، دار القرآن الكريم، 1981م)، ج2، ص594.

(4) القرآن الكريم، سورة النساء، الآية: 72.

(5) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط18، (مصر، لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤسسة الأهرام، 1995م)، ص136.

(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص50.

(7) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ط2، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009 م)، ص203.

(8) دروزة، محمد عزة بن عبد الهادي، سيرة الرسول ﷺ، (قطر، إدارة إحياء التراث الإسلام، د-ت)، ج2، ص 78.

(9) ابن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ج1، ص 242.

(10) ابن هشام، السيرة النبوية، ص842.

عليه واله وسلم من والده مع شدة عبد الله بن أبي بن سلول على النبي ﷺ، وماذا سيقول آل سلول عن هذا الموقف الكبير من نبي الرحمة ﷺ[1].

وهذا الموقف من النبي ﷺ تجاه عبد الله بن أبي بن سلول، أعطى الصورة الواضحة عن طبيعة موقفه وأثره على الأنصار بعد ذلك فلم تعد مكايد المنافقين تظهر للرسول ﷺ وحده، بل تجمع المدينة بكاملها على ذلك، وهذه إحدى نتائج حسن إدارته ﷺ للمواقف مع المنافقين[2].

وتكررت مواقف المنافقين في أيام الشدائد والمحن كما في غزوة الأحزاب، التي ما إن علم صل الله عليه واله وسلم بتحزب الأحزاب لحربه من قريش وقبائل عربية أخرى مثل غطفان وغيرها، حتى استشار أصحابه ﷺ، واستقر رأيهم على أن يبقوا في المدينة، ويحصنوها من العدو، وأخذ ﷺ برأي سلمان الفارسي بحفر الخندق حولها[3].

وقد لاقى الرسول ﷺ، مع أصحابه وهم يحفرون الخندق معاناة كبيرة، وكان أشدها ما قام به المنافقون في هذه المرحلة الحرجة والتي تحتاج من الجميع التعاون وتوظيف الجهود والطاقات لإنجاز مشروع الخندق بالسرعة الممكنة التي تجعل العدو يبهر بما يراه من تلك التحصينات فتؤثر في عزيمته[4].

إلا أن صورة المنافقين كانت في أقبح مظاهرها، فقد تأخروا عن المجيء للعمل مع المسلمين في الخندق، ومن جاء منهم كان أداؤه في مستوى ضعيف، وزاد على ذلك أنهم لا يطيلون الإقامة في هذا العمل، بل مع ضعفهم يتكلفون الأعذار التي تجعله صل الله عليه واله وسلم، يأذن لهم بالعودة، بل بعضهم لا يحتاج إلى هذا الإذن، فيتسلل بعيدا عن أعين الناس إلى مسكنه داخل المدينة[5].

ولا يتوقف أثرهم على المسلمين في هذا الموقف العظيم على ما سبق من تخاذلهم أثناء حفر الخندق، بل تجاوز الأمر بتثبيط همم المسلمين، وتشكيكهم في موعود الله لهم على لسان رسوله ﷺ، أثناء حفر الخندق، حينما بشر المسلمون بفتح اليمن وبلاد الشام والروم والفرس[6].

وذلك سعيا منه ﷺ، للرفع من معنويات أصحابه، وتأكيدا على أن المستقبل للإسلام مهما حلت بهم من ظروف[7].

لكنه لما ضيق العدو على المسلمين من كل جهة، وعظم البلاء عليهم واشتد الخوف بهم وبدأت الظنون تصل إلى الناس، وجدها المنافقون فرصتهم

(1) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (430هـ/ 1038م)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (الرياض، دار الوطن للنشر، 1998م)، ج2، ص 869.

(2) السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (489هـ/ 1095م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، دار الوطن، الرياض، 1997م)، ج5، ص 440.

(3) الشافعي، محمد بن عمر بحرق (930هـ/ 1523م)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول (بيروت، دار الحاوي، 1998م)، ص 310.

(4) البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (150هـ/ 767م)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار إحياء التراث، 2002م)، ج3، ص 477.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ص777.

(6) ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود المؤيد (732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، (مصر، المطبعة الحسينية المصرية، د. ت)، ج 1، ص 135.

(7) الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (القاهرة، مطابع أخبار اليوم، 1997م)، ج 19، ص11904.

فقال بعضهم: «كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط»[1].

إنها كلمة عظيمة الأثر سريعة التأثير، فهي طعن في رمز الإسلام محمد ﷺ، وتكذيب له في قوله، ومعارضة صريحة لما يخطط له في هذا اليوم العصيب، وفي ظل هذه الظروف وهذه المعاناة؛ يصل بالمنافقين حد المعاندة، وعدم الاكتراث بالظرف الدقيق، الذي يمر به المسلمين، إلى الخروج من ساحة المعركة متعللين بما لا يوافق العقل ولا الواقع الذي يعيشه ويواجهه الناس في ذلك اليوم وذلك بقولهم: إن بيوتنا عورة فهم يخشون عليها من العدو، ولأنها حسب زعمهم مكشوفة للعدو، ولا تجد من يحميها منهم، وهذا دلالته لبث الضعف والوهن في صفوف المسلمين والأمر خلاف الواقع، فلا يعد هذا الأمر ذريعة لهم للخروج من ساحة المعركة، وما يقع عليهم يقع على غيرهم، لكنها عادتهم في أوقات المحن والأزمات لا يستطيعون الثبات مع المسلمين، بل هم مع العدو لأنها فرصتهم التي يعلنون بها مواقفهم المخزية، ومع ذلك لم يقع عليهم من رسول الله ﷺ من شيء[2].

فاتجه النبي ﷺ يعالج إرجافهم الناس، فقد أخرج البيهقي عن ابن فليح قال:» فلما اشتد البلاء على النبي ﷺ، نافق ناس كثير وتكلموا بكلام قبيح، فلما رأى رسول الله ﷺ ما فيه الناس من البلاء والكرب، جعل يبشرهم ويقول: والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله عز وجل إلى مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله عز وجل»[3].

النفاق وتناوله في القرآن الكريم

تناول القرآن الكريم حال المنافقين منذ بداية ظهورهم وبينت الآيات القرآنية مواقفهم[4]، وقال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ وَما تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[5].

ولقد سار القرآن الكريم على معالجة أحداث المنافقين بسرعة، وذلك بالرد المباشر عليها وبيان حقيقة موقفهم الذي يزعمون وكشف باطنهم الحقيقي للإسلام، فمن ذلك قوله تعالى كاشفا حالهم ومجليا لأمرهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[6]. وهذا هو الوصف الحقيقي لهم فالمنافقين في قلوبهم مرض، ويؤكد القران الكريم حقيقة المنافقين وسعيهم الدائم لإتباع أنواع الوسائل التي تنال من وحدة المسلمين.

ومع هذه المخاطبة الواضحة عمدوا إلى أسلوب آخر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ص 783، البيهقي، أبو بكر بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (458هـ/ 1065م)، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م)، ج3، ص402.

(2) الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (538هـ/ 1143م)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط3، (بيروت، دار المعرفة، 2009م)، ج3، ص535.

(3) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج3، ص402.

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج1، ص399.

(5) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 118.

(6) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 12.

مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً﴾[1].

إنه نداء المنافقين لغيرهم من أهل المدينة أن هذه الحرب ستؤذيهم، ودعوة للفرار من عسكر النبي ﷺ[2]، ليرجعوا إلى ديارهم ويتحصنوا بها ويحفظوا أموالهم وأهليهم قبل أن ينالها العدو؛ وهذا من جهلهم بحقيقة أيمان المؤمنين، فظنوا أنهم متشابهون في سلوكهم! والظهور أمام النبي ﷺ، والمسلمين أنهم معهم! ولذا عمدوا إلى الاستئذان، لكن علتهم في الاستئذان بكشف أهليهم وذويهم وأموالهم للعدو ليست بصحيحة، فرد الله عز وجل ذلك بقوله تعالى: ﴿وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِراراً ﴾[3].

وهنا لابد من كشف حال المنافقين والتثريب عليهم، وإدانة ممارستهم، يقول تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً﴾[4]، نعم إنها صورة تحكي التناقض الذي يعيشه المنافق في شخصيته وهو تلازم لا ينفك عنه، فيدعي الحماية لنفسه ولأهله ويدع المرابطة مع العدو، لكنه في حقيقة الأمر لا يتردد في الاستجابة لطلب الفتنة وهي الكفر[5].

وهنا لابد من كشف حال المنافقين والتثريب عليهم، وإدانة ممارستهم، يقول تعالى عنهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطارِها ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْها وَما تَلَبَّثُوا بِها إِلاَّ يَسِيراً﴾[6]، نعم إنها صورة تحكي التناقض الذي يعيشه المنافق في شخصيته وهو تلازم لا ينفك عنه، فيدعي الحماية لنفسه ولأهله ويدع المرابطة مع العدو، لكنه في حقيقة الأمر لا يتردد في الاستجابة لطلب الفتنة وهي الكفر[7].

إنها صورة حقيقية لا تتفق مع الإسلام أذ إنه نهج القرآن الكريم في التحذير من ممارسات أهل النفاق حتى لا يقع أحد في شركها، ويستمر القرآن الكريم في تقريع المنافقين وكشف أمرهم، وبيان زيغهم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبارَ وَكانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُلاً﴾[8].

يستمر القرآن الكريم لبيان افتقارهم لله سبحانه وتعالى، وأنه مهما تصوروا الاستغناء عنه فإن ذلك وهم يتوقعونه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾[9]؛ فأنتم أيها المنافقون أيها المتخاذلون تخطئون التقدير في حقه سبحانه وتعالى؛ فلو أراد بكم جزاء، أو رحمة فلا يمكن لأحد أن يردها، وكأن فيها رسالة لهم بالعودة إلى الله حتى ينالوا رحمته سبحانه وتعالى، وأنه مهما وقف معهم من يظنون أنه سيرد عنهم ما سيوقعه الله بكم فلن يستطيع أحد ذلك أبدا[10].

---

(1) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 13.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج14، ص148.
(3) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 13.
(4) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 14.
(5) أبن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، ط6، (القاهرة، المطبعة المصرية ومكتبتها، 1964م)، ص104.
(6) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 14.
(7) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (911هـ/ 1505م)، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، (السعودية، الناشر: جامعة أم القرى -كلية الدعوة وأصول الدين، 2005م)، ج1، ص 358.
(8) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 15.
(9) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 17.
(10) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/ 1200م)، زاد المسير في علم

احداث تاريخية لظاهرة النفاق

لقد مرت أحداث تجسدت فيها مواقف المنافقين وكان لها الأثر الفاعل على المسلمين لا سيما في أحداث غزوة أحد، لكن موقف النبي ﷺ، كان يتمثل بعدم اللوم أو المعاتبة لهم، بل صرف أمره إلى الموقف الذي ينتظره من عدوه، ويحتاج فيه إلى لم الشمل، وبذل الجهد والطاقة[1].

كانت غزوة أحد في العام الثالث من الهجرة، حيث العدو على مقربة من المدينة والموقف يستدعى السرعة في اتخاذ القرار، فيستشير النبي ﷺ، أصحابه في ذلك ويستقر الأمر على الخروج من المدينة لملاقاة العدو خارجها. فانطلقوا من المدينة متجهين إلى أحد، وفي الطريق إليها يحدث ما لم يتوقعه أحد فيعلن عبد الله بن أبي بن سلول انه قرر العودة إلى المدينة، وتعلل بأن النبي ﷺ لما قرر الخروج من المدينة لملاقاة العدو ترك رأيه وأخذ برأي الغلمان كما يزعم حيث قال: «أطاعهم وعصاني»[2].

وهذا الموقف الذي لا يمكن توقع حدوثه في هذا الظرف العصيب مع قرب التصادم مع العدو، مع تنازل عددي سريع لموعد المعركة، وفي ظل هذا لم يذكر أن النبي ﷺ، واجه ذلك بردة فعل قاسية، وليس ذلك لعدم أهمية الحدث؛ بل لمراعاة مقتضى الحال لمجتمع تكون حديثا ثلثه لديهم قابلية الاستجابة لذوي النفوس المريضة، حيث قال ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما ينفي النار خبث الحديد»[3].

ومع دخول المسلمين في مفاوضات، رجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق، واتبعه عبد الله بن عمرو بن حزم أخو بني سلمة وهو يقول: (**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ أَنْ لَا تَخْذُلُوا قَوْمَكُمْ وَنَبِيَّكُمْ**)[4].

ولعل موقف عبد الله بن حرام أكبر دليل على ذلك حينما دعا أولئك المنافقين للعودة إلى المشاركة في المعركة، فلما تجلى له عدم استجابتهم للعودة إلى الصف قال: «أبعدكم الله أعداء الله فسيغنى الله عنكم نبيه»[5]، ولعظيم الحدث وفداحته، اختلف المسلمون فيما يجب أن يتخذ بحقهم «فرقة تقول: نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم»[6]، فنزل القرآن الكريم يؤكد موقف النبي ﷺ، والمتمثل بعدم الانشغال بهم، وأن ما حدث منهم أمر متوقع فقال تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾[7].

ولم يتوقف الأمر عليهم فقط بل تعداهم إلى غيرهم، وكاد يؤدي بهم إلى الهلكة، قال تعالى:

التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 2001م)، ص270.

(1) البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (245هـ/ 859م)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1942م)، ص112.

(2) البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ج3، ص226؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 41؛ ابو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د ب، دار هجر للطباعة والنشر، 2003م)، ج5، ص349.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، رقم الحديث 1884.

(4) أبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص41؛ ابو الفداء، البداية والنهاية، ج5، ص349.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ص 653، له شواهد على صحته، انظر(قريبي، مرويات غزوة بني المصطلق، ص 162).

(6) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج7، ص356.

(7) القرآن الكريم، سورة النساء الآية: 88.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾[1]، فكانوا يقولون نحن الذين تولانا الله وهما «بنو سلمة، وبنو حارثة»[2].

ومع كل الاحتمالات المتوقعة من إضعاف لجيش المسلمين، وتأثير على معنوياته رجع عبد الله بن أبي بن سلول إلى المدينة متذرع بأنه لن يكون هناك قتال، وأن الرسول ﷺ، عصاه وأطاع الغلمان! وأما فيما يتعلق بجيش أحد فقد رجع ثلثه قبل ملاقاة العدو، وإن أي موقف لاستعادة هذا الثلث ربما يؤدي إلى خسارة الجميع، وهو ما خشيه ﷺ فترك هذا الثلث يعود إلى المدينة ويبقى ثلثين الجيش معه، ويتجلى للمسلمين برجوعه تحقيق قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[3].

ولم يتوقف كيدهم للمسلمين حتى بعد معركة أحد؟ بل لم يراعوا أحوال الناس بعدها. فذهبوا يرجفون، ويصف ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا﴾[4].

ومع كل هذه الأعمال، وهذا الإضعاف في صفوف الجيش، وهذا والوصف القرآني لأحوالهم، وبيان عورتهم يغلب ﷺ، جانب المصلحة العامة، ولا يلتفت لكيدهم، وقد تحقق لرسول الله ﷺ، وللمسلمين مرادهم في موقف الأنصار من عبد الله بن أبي سلول، فكان كعادته لشرفه عند قومه، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب قام فقال: «أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا. ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ورجع الناس، قام يفعل ذلك كما كان يفعله، فأخذ المسلمون بثيابه من نواصيه، وقالوا: اجلس أي عدو الله، والله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت. فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: وَاللَّهِ لكنما قُلْتُ بُجْرًا أَنْ قُمْتُ أُشَدِّدُ أَمْرَهُ»[5].

نَعم إن نزول مكانة عبد الله بن أبي بن سلول عند قومه لم تكن من السهولة واليسر فهو زعيمهم وسيدهم، وحينما تنزع هذه السيادة بسبب هذا الموقف منه فهي مرحلة تبدل عندهم تجاهه بنيت على حقيقة جديدة لديهم، وهي أن صورة عبد الله بن أبي سلول لن تستمر بتلك المثالية السابقة. بل كشف أمره وبان خداعة[6].

اليهود وعلاقتهم بالمنافقين

في العام الرابع للهجرة كشف الرسول الكريم محمد ﷺ، أن يهود بني النضير يدبرون خطة لقتله، فقام رسول الله ﷺ، بتشديد الحصار عليهم وبدأ بقطع نخيلهم، فقد روى ابن إسحاق قال: «كان رهط من بني عوف بن الخزرج، منهم عبد الله بن أبي بن سلول، قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم خرجنا معكم، فتربصوا ذلك من نصرهم، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يجليهم ويكف عن

(1) القرآن الكريم، سورة آل عمران الآية: 122.
(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب: (إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) القرآن الكريم، سورة آل عمران آية: 122، رقم الحديث 4052.
(3) القرآن الكريم، سورة آل عمران الآية: 179.
(4) القرآن الكريم، آل عمران الآية: 168.
(5) الطبري، تفسير الطبري، ج3ص1934،1935؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ط2، (بيروت، مكتبة المعارف، 1977م)، ج4، ص51.
(6) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، (بيروت، دار الساقي، 2001م)، ج 7، ص123.

دمائهم»[1].

بل ويزيد الأمر سوءا ما قاله عبد الله بن أبي بن سلول، في رواية أخرى: «لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصونكم، فإن معي ألفين من قومي من العرب يدخلون معكم حصونكم وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان»[2].

وكان موقف المنافقين المتكرر من النبي ﷺ، في المدينة على وجه العموم. فهؤلاء المنافقون هم من رعايا الدولة الإسلامية في المدينة، ويتمتعون بالمواطنة الكاملة بما لهم من حقوق وعليهم من واجبات. ومع كل هذا نراهم في أشد الظروف وأصعبها على المسلمين يسعون إلى ما يثير الفتنة وينمى الفرقة في المجتمع، بل يتجاوزون ذلك إلى ما هو أشد كما في حادثة بني النضير حيث موالاة العدو ومناصرته، ولا نشك أن هذا الموقف لا يمكن تقدير أثره على المسلمين وما ذاك إلا لخطره الذي يتمثل بقيام المنافقين بدعوة اليهود الذين أمرهم النبي ﷺ، بالخروج من المدينة، لنقضهم العهد وسعيهم إلى قتله ﷺ، وعدم السماع والاستجابة لما أمر به، ومع هذا الموقف العدائي الذي اتخذه يهود بني النضير من المسلمين لا يتورع عدد من المنافقين عن مخالفة أمر النبي ﷺ، بمساندتهم ودعوتهم البقاء في المدينة، وإبلاغهم أنهم ربطوا مصيرهم بهم، فإن ينشب قتال كانوا مع اليهود ومن صفهم، وإن كان الأمر خلاف ذلك وحلت باليهود مشكلة فسيكونون معهم ويخرجون تضامنا لأجلهم، ولا يكتفي المنافقون بذلك بل يصل بهم الأمر إلى الالتزام لهم بأنهم سيدفعون لهم ألفي مقاتل يلتقون وإياهم في المصير الواحد، كما طمأنوا اليهود بإمكانية دعوة قبيلة غطفان لهذه المهمة[3].

ومع كل هذه المبادرات والوعود من المنافقين بنصرة يهود بني النضير، عجز المنافقون عن تقديم أي شيء لليهود، فاستجاب اليهود بما طلب منهم بالخروج من المدينة. يقول ابن سعد: «وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا»[4].

إن موقف المنافقين يصب في موقع الخيانة العظمى فقد سعوا وألبوا عدو المسلمين عليهم، ولم يمنعهم عن ذلك إلا عجزهم عن تنفيذ وعدهم، وكان من المتوقع أن يتخذ منهم ﷺ، موقفاً حازماً وشديداً بسبب فعلتهم هذه، لكنه صل الله عليه واله وسلم، كعادته يغلب جانب العفو والصفح عن أفعالهم ولا يمسهم بسوء، أو يوقع عليهم ما يضرهم، وما ذاك إلا لتقديره ﷺ، أن ملاحقتهم أو تأديبهم قد يجر على المسلمين ما لا يحمد عقباه، فتتجه قوة المسلمين إليه، وتستنزف طاقتهم فيما لا يعود عليهم بالنفع المباشر. ولهذا آثر ﷺ موقف السكوت عنهم[5].

النفاق وعلاجه في القرآن الكريم

عرض القرآن الكريم إحداثه بالتفصيل وذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ص757.
(2) الزرقاني، شرح العلامة الزرقاني على المواهب أللدنية بالمنح المحمدية للعلامة القسطلاني، ج2، ص 1516.
(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (808هـ/ 1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، 1988م)، ج2، ص351.
(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص58.
(5) الكاندهلوي، محمد يوسف بن محمد إلياس (1917، 1965م)، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1999م)، ج1، ص88.

أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾[1].

هنا بدأت الآيات القرآنية بالحديث بصورة مباشرة عن المنافقين وزجرهم، لتعلم المجتمع الإسلامي أن المنافقين منبوذين من قبل الله تعالى؛ ثم عرض للملأ جميعاً ما أقدم عليه المنافقون من عمل يوحى بانعدام ولائهم؛ ثم سار القرآن الكريم على منهج المعالجة أحداث المنافقين بسرعة التناول لها، وذلك بالرد المباشر عليها وبيان حقيقة الموقف الذي يزعمون وكشف باطنهم الحقيقي للمسلمين، والتشنيع على أساليبهم ومقتها والتحذير منها.

فمن ذلك قوله تعالى كاشفاً حالهم ومجلياً لأمرهم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [2].

وهذا هو الوصف الحقيقي لهم، منافقون، وقوم في قلوبهم مرض ليسوا أسوياء بل تهيمن عليهم تلك الصفات الذميمة داخل الصف الإسلامي، ولن تؤتى أكلها، والناس يعرفونهم ويسمونهم بتلك الصفات التي يتحلون بها!

يتنزل الوحي على المصطفى ﷺ، ليؤكد حقيقة المنافقين وسعيهم الدائب لإتباع أنواع الوسائل التي تنال من وحدة المسلمين. فما لم تنفع المخاطبة ببيان تمكن العدو من المسلمين، عمدوا إلى أسلوب آخر قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[3].

والقرآن يقرر حقيقة يراها الناس جميعا، وهي من أشد الوقع على النفس ولا شك في أثر الأسلوب القرآني في فضح المنافقين، وكشف زيغهم للناس جميعا حتى يحذر الناس من هذا السلوك فيجتنبوه. إنه منهج القرآن الكريم في التحذير من ممارسات أهل النفاق حتى لا يقع أحد في شركها[4].

وأغلب مواقف المنافقين في تخذيل وتشكيك وسخرية، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[5]، لقد سخر الله منهم ولا شك أن سخرية الله منهم أشد وأنكى من سخريتهم لغيرهم؛ بل لقد توعدهم سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم نتيجة تخذليهم وتشكيكهم وسخريتهم، أن معالجات القرآن الكريم ليست أنية في الوقت نفسه بل يجعلهم في نطاق ضيق ومحدود ويبقيهم في دائرة محدودة[6].

(1) القرآن الكريم، سورة الحشر الآيات: 11،12،13.
(2) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: 12.
(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج6، ص203.
(4) الديلمي الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور (207هـ/ 822م)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د ت)، ص15.
(5) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 79.
(6) دراز، محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، (كويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م)، ص200.

ومع موضع آخر شنع القرآن الكريم على المنافقين تخلفهم عن الغزو، وعن المساهمة مع الجيش، وما دعوا الناس إليه بعدم الخروج متعللين بشدة الحر، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]، فما توقف أمرهم عند عدم المشاركة، بل دعوا الناس للتخلف، معللين ذلك بشدة الحر، فكان الرد القرآني مخزيا لهم ورادع، إذ قال الله عز وجل لرسوله ﷺ «قل لهم نار جهنم التي تصيرون إليها بمخالفتكم أشد حرا مما فررتم منه من الحر»[2]، هكذا الموقف القرآني صريح وواضح، فهذا هو الجزاء جراء فعلتهم.

كما أن فساد قلوبهم واستهزاءهم وتشكيكهم، يعكس المؤمنين الصادقين، وكشف حقيقة أمر المنافقين وولاء للدين الإسلامي، واعتبارهم شواذ في المجتمع، وقد كشف الله أخبارهم للناس فتولى الله سبحانه وتعالى أمرهم، وأكدت الآيات القرآنية عدم قبولهم، أذ توالت الآيات تكشف حال المنافقين من الأعراب وتحدد آلية التعامل معهم إلى أن قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾[3].

الخاتمة

1) الاسلام يرفض النفاق ويدعوا أصحاب هذا السلوك إلى اتخاذ المنهج الصحيح والواضح، إذ أن النفاق سلوك يمارسه بعض الناس في حياتهم ويمثل حالة في النفس الإنسانية فيتسبب بحياة وشهوة وانغماس، ويصعب القول إن النفاق مرحلة ذو سلوك وظروف تشتد حينا وتقل حينا ولعلها في الأزمان المتأخرة أشد على المسلمين خطرها وذلك لكثرة الشبهة وتنوعها، ومما يزيد الخطر على المسلمين في آثارها على عقائدهم ومجتمعاتهم.

2) وإن الناظر في سيرة المصطفى ﷺ، يرى أنها خالية من الغل والحقد والانتقام، ويدرك أنه قد سن منهج في التعامل مع المنافقين وعلى وجه العموم. فالمنافقون في ظاهر الحال من أعداد المسلمين بإجراء أحكام المسلمين عليهم، كما أنه صل الله عليه واله، عانى من تكتل المنافقين في المدينة وكثرتهم، وازدياد إيذائهم للمسلمين، وسعيهم إلى تفكيك المجتمع وتخذيل أتباعهم، لأنهم كانوا يظهرونه الإسلام لكنهم منافقين.

3) وبالمقابل فإن آيات القرآن الكريم والتي تتنزل لتفضح أمرهم، وتكشف خيانتهم، وتحذرهم من الاستمرار في طريق العداوة للمسلمين، كثيرا ما تتضمن إتاحة الفرصة لهم، وتدفعهم للعودة إلى المنهج الإسلامي الصحيح.

4) لهذا يعد النفاق آفة من آفات العصر، بل وكل العصور، ورذيلة من الرذائل الأخلاقية التي تقود المجتمعات إلى الهاوية، بل عدته الشرائع السماوية، ولا سيما شريعتنا الإسلامية وعدته من الكبائر التي تسكن صاحبها الدرك الأسفل من النار، إذا لم يتب منها ويُقلع عنها.

(1) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 81 82-.
(2) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج2، ص377.
(3) القرآن الكريم، سورة التوبة، الآية: 101.

5) ولمحاربة النفاق يجب على الأفراد أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع الآخرين، وأن يتعاملوا بنزاهة وتوافق بين قولهم وفعلهم، أذ أن التثقيف الاجتماعي له دور هام في تشجيع الناس على تبني القيم الأخلاقية الصادقة في حياتهم اليومية.

6) كما أن النفاق في التاريخ هو من الموضوعات المعقدة فقد ارتبط النفاق بالمواقف السياسية والاجتماعية التي تتطلب التظاهر بغير الحقيقة، خاصة في المجتمعات القبلية أو السلطوية.

7) وفي عهد النبي محمد ﷺ ظهر النفاق بشكل واضح في المدينة المنورة بعد الهجرة، خصوصًا بعد غزوة بدر، حين بدأ بعض الأفراد يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر خوفًا أو طمعًا، مثل عبد الله بن ابي السلول.

8) وذكر لنا التاريخ الإسلامي ظاهرة النفاق كظاهرة اجتماعية وسياسية، حيث استخدمها البعض لتحقيق مصالح شخصية أو لتقويض الاستقرار الداخلي في الدول العربية الإسلامية.

المصادر والمراجع

القران الكريم

أولاً: المصادر

1. ابن الأثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630هـ/ 1222م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م).

2. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/ 1200م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، 2001م).

3. أبن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، ط6، (القاهرة، المطبعة المصرية ومكتبتها، 1964م).

4. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد(808هـ/ 1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، (بيروت، دار الفكر، 1988م).

5. ابن سيد الناس، ابو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، (734هـ/ 1333م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تحقيق: ابراهيم محمد رمضان، (بيروت، دار القلم، 1993م).

6. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير(774هـ/ 1372م)، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د-ت).

7. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (774هـ/ 1372م)، تفسير ابن كثير، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، د-ت).

8. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على (630هـ / 1311م)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله على الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د-ت).

9. ابو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (د ب، دار هجر للطباعة والنشر، 2003م).

10. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق (430هـ/ 1038م)، معرفة الصحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، (الرياض، دار الوطن للنشر، 1998م).

11. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل

(256هـ/ 869م)، صحيح البخاري: تحقيق محمد علي قطب، صحيح البخاري (بيروت المكتبة العصرية 1417هـ).

12. البغدادي، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (245هـ/ 859م)، المحبر، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1942م).

13. البلاذري، أحمد بن يحيى بن داود (279هـ/ 892م)، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، 1996م).

14. البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (150هـ/ 767م)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار إحياء التراث، 2002م).

15. البيهقي، أبو بكر بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (458هـ/ 1065م)، ط1، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1985م).

16. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (427هـ/ 1035م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (لبنان، دار إحياء التراث العربي، 2002م).

17. الرازي، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (327هـ/ 938م)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط3، (السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، 1419م).

18. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (538هـ/ 1143م)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ط3، (بيروت، دار المعرفة، 2009م).

19. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار (489هـ/ 1095م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، دار الوطن، الرياض، 1997م).

20. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (581هـ/ 1185م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، تعليق: مجدي منصور بن سيد رشدي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1991م).

21. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (911هـ/ 1505م)، نواهد الأبكار وشوارد الأفكار، (السعودية، الناشر: جامعة أم القرى -كلية الدعوة وأصول الدين، 2005م).

22. الشافعي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، (468هـ/ 1075م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (بيروت، دار القلم، 1994م).

23. الشافعي، محمد بن عمر بحرق (930هـ/ 1523م)، حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، تحقيق محمد غسان نصوح عزقول (بيروت، دار الحاوي، 1998م).

24. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/ 922م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة، مؤسسة الرسالة، 2000م).

25. القرطبي، أبو عبد الرحمن محمد بن أحمد (671هـ/ 1272م)، الجامع لأحكام القرآن، ط2، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، 1373هـ/ 1954م).

26. المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين

(346هـ/ 957م)، التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (القاهرة، دار الصاوي، د، ت).

27. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (845هـ/ 1441م)، إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1999م).

28. الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي، (207هـ/ 822م)، المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، ط3، (بيروت، دار الأعلمي، 1989م).

ثانياً: المراجع والدوريات

1. الحجازي، محمد محمود، التفسير الواضح، ط10، (بيروت، دار الجيل الجديد، 1993م).

2. دراز، محمد بن عبد الله، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، (كويت، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م).

3. دروزة، محمد عزة بن عبد الهادي، سيرة الرسول (صل الله عليه وسلم)، (قطر، إدارة إحياء التراث الإسلام، د-ت).

4. الديلمي الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور (207هـ/ 822م)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، (مصر، دار المصرية للتأليف والترجمة، د ت).

5. الزحيلي، وهبي بن مصطفى، التفسير الوسيط، (دمشق، دار الفكر، 2000م)، ج1، ص 14.

6. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (القاهرة، مطابع أخبار اليوم، 1997م).

7. الصابوني، محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، ط7، (لبنان، دار القرآن الكريم، 1981م).

8. علي، جواد، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، (بيروت، دار الساقي، 2001م).

9. الكاندهلوي، محمد يوسف بن محمد إلياس (1917، 1965م)، حياة الصحابة، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1999م).

10. لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ط18، (مصر، لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية مؤسسة الأهرام، 1995م).

11. نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ط2، (السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 2009م).